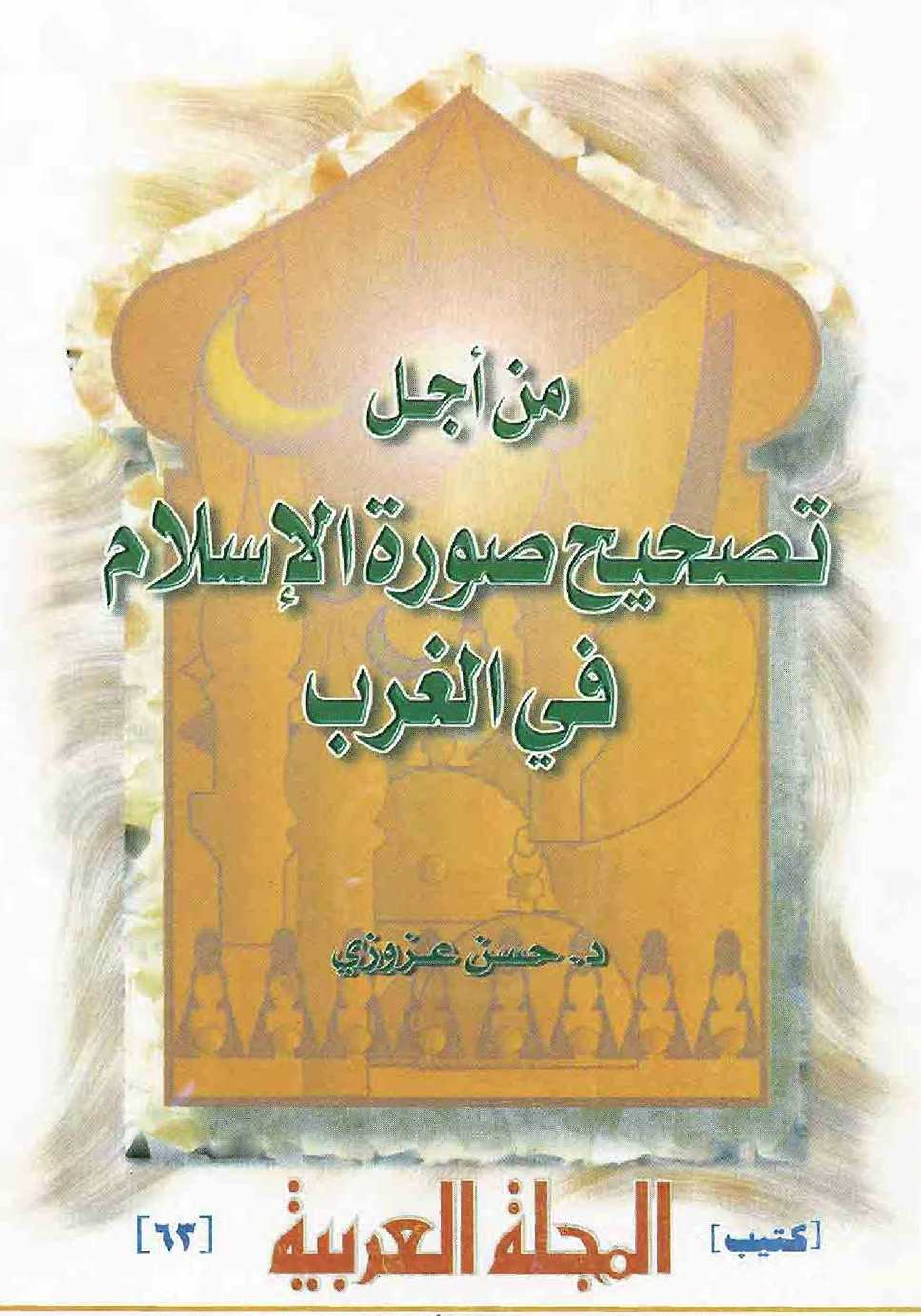


من أجل تصحيح صورة الإسلام في الغرب

د. حسن عزوزي

[كتيب] المجلة العربية [٦٣]

العدد الثالث والستون ـ ربيع الأول ١٤٢٣هـ / يونيو ٢٠٠٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

من أجل تصحيح صورة الإسلام في الغرب

د.حسن عزوزي





ثقافية - اجتماعية - جامعة

تصدر في المملكة العربية السعودية

رئيس التحرير :

حمد بن عبدالله القاضي

هاتف ٤٧٧٩٧٩٢

الرياض - طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين) - شارع المنفلوطي

مقسم ٤٧٧٨٩٩٠ - ناسوخ: ٤٧٦٦٤٦٤

ص.ب ٥٩٧٣ الرياض ١١٤٣٢

عنوان «المجلة العربية» على الإنترنت:

WWW.ArabicMagazine.com.

لمراسلة «المجلة العربية» على الإنترنت:

info@arabicmagazine.com.

الكاتب في سطور



* الدكتور حسن عزوزي

* من مواليد مدينة صفرو (قرب فاس بالمغرب) عام ١٩٦٤م.
* حاصل على الإجازة العليا في الشريعة عام ١٩٨٧م.
* حاصل على شهادة الدراسات العليا من دار الحديث الحسنية عام ١٩٨٩م.

- دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب - جامعة محمد الخامس بالرباط عام ١٩٩١م.
- دكتوراه الدولة في العلوم الإسلامية من جامعة محمد الخامس عام ١٩٩٧م.
- عضو المجلس العلمي بفاس بظهير ملكي شريف.
- عضو رابطة علماء المغرب.

- رئيس تحرير مجلة كلية الشريعة بفاس وأستاذ التعليم العالي بجامعة القرويين.
- رئيس مجموعة البحث في مجال تصحيح صورة الإسلام بكلية الشريعة بفاس.
- شارك في مؤتمرات وندوات دولية في موضوع العلاقة بين الإسلام والغرب في كل من الرياض واسطنبول وليبيا وتونس والجزائر ولوكسمبورج وباريس وبروكسيل.
- كاتب منتظم بجريدة «المسلمون» المتوقفة وجريدة «العالم الإسلامي» ومجلة الوعي الإسلامي ومجلة الرابطة السعودية وغيرها.

من كتبه المطبوعة :

- الإسلام والغرب: قضايا ومواقف (ط ثانية).
- دراسات في الاستشراق ومناهجه.
- منهجية البحث في العلوم الشرعية.



وفي البدء كلمة :

لقد رأى الغرب في الإسلام ديناً يحمل في جوهره روحاً وثابة وقدرة خارقة على الامتداد جغرافياً واكتساح القلوب التي تقبل على اعتناقه بشكل منقطع النظير، لذلك سعى إلى مجابهة هذا الواقع الذي يعترف به ويقض مضجعه فبدأ يبحث عن مختلف الوسائل والطرق التي قد تكفل له الحد من بروز الإسلام وشموخه أمام الغرب كأبرز تحدٍّ حضاري وديني شهدته أوروبا وأمريكا في العقود الأخيرة من القرن العشرين.

وفي سبيل تحقيق ذلك كانت هناك سياسة تسعى على قدم وساق للإساءة للإسلام عن طريق العمل على تشويه صورته وتمييع حقائقه عبر مختلف الوسائل الإعلامية والثقافية المختلفة.

وإذا كانت عملية تشويه صورة الإسلام في الغرب أمراً واقعاً وملموساً، فكيف السبيل إلى تصحيح الصورة وتحسين نظرة الغربيين إلى الإسلام؟ وما الطرق الكفيلة للحد من ظاهرة التشويه التي أمست تطال كل وسائل الإعلام الغربية من كلمة وصورة وصوت وكاريكاتير؟

هذا ما أسعى للإجابة عنه في هذا الكتيب.

• المؤلف •

يشكل الإسلام باعتباره منظومة حضارية ذات ثقل فاعل ووزن بارز في إطار الحضارة الإنسانية أحد أبرز هواجس الغرب في الآونة الأخيرة، فظهوره على الساحة السياسية والفكرية والاجتماعية داخل المعاقل والأوساط الغربية ذاتها جعل منه لدى بعض الغربيين العدو الأكبر للغرب، نظراً لما يمثله من قوة وجاذبية وتأثير جعلته يكتسح عدة مناطق من ربوع العالم. وقد كان لابد لهذا الغرب من استراتيجية قوية تحاول دفع الإسلام والحد من انتشاره وانجذاب الغربيين إليه. ولعل من أبرز الوسائل المتبعة في هذا المضمار العمل على تشويه صورته في الغرب بقصد الحيلولة دون أي إقبال أو تقبل لغير المسلمين لهذا الدين.

من جهة أخرى لابد من الاعتراف بأنه لا يكاد يوجد في الغرب من صورة للإسلام غير الصور النمطية العنصرية واللقطات الإعلامية السلبية. فالإسلام كان ولايزال يمثل إزعاجاً للغرب نظراً لما يشكله من قوة روحية لا نظير لها تستهوي قلوب الآلاف المؤلفة في كل أرجاء الدنيا، وهذا ما يدفع الغرب إلى بحث آليات وسبل صد وردع ما يسمونه «الزحف الإسلامي» أو «الخطر الإسلامي»، وتقوم وسائل إعلامهم بدور كبير في

تحقيق هذه المهمة، لذلك باتت حملات التشويه والتمييع الإعلامية التي توجه ضد ديننا الحنيف وأتباعه ذات أثر بالغ في تكوين صورة سلبية موغلة في الازدراء والاستخفاف بالإسلام وقيمه ومثله، ولا يجادل أحد في كون وسائل الإعلام الغربية لها من الفاعلية والتأثير ما يجعل الغربيين ذوي قابلية واستعداد بالغين للتصديق والاستيعاب السريع لكل المعلومات الخاطئة والمغلوطة التي تلصق زوراً بالإسلام والمسلمين، ولاشك أن التغطية الصحفية الزاخرة بالمغالطات والافتراءات إذا عززتها صور تلفزيونية مهينة ومشينة، فإنها دون ريب سوف تتفاعل في ذهن المواطن الغربي بشكل مستمر فتكون لديه ما يعتقد أنها حقائق صحيحة عن الإسلام، وبالتالي ترسخ في ذهنه صورة قاتمة ومزيفة عن الإسلام والمسلمين.

إن الحديث عن الإسلام في الغرب يطال جميع وسائل الإعلام الغربية من إذاعة وتلفاز وصحف ومجلات وغير ذلك، وهي بما تمتلكه من قدرة على الانتشار وقوة الجذب والتأثير استطاعت أن تجعل الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام والعرب، ضمن اهتمامات الإنسان الغربي، حتى أصبحت وخصوصاً في أوقات الأزمات السياسية والاجتماعية حديث المجالس والمنتديات الشعبية، وهنا تكمن الخطورة الجسيمة للدور الذي تقوم به التغطية الإعلامية الجماهيرية في الغرب من أجل ترسيخ الصورة

النمطية المشوهة للإسلام في مخيلة الفرد الغربي، ولبلوغ هذا الهدف يتنافس المطبوع والمرئي والمسموع، من أجل التركيز المغالي على كل ما قد يبدو غريباً في الإسلام في زعم الغربيين، إذ يلاحظ على سبيل المثال في المقالات الصحافية تخبط الكاتب الصحافي بين المصادر التي يعتمدها، ويزعم أنها أصيلة وموثوقة، مع غربته التامة عن الموضوع، مما يجعل القارىء لا يخرج بأي فكرة متلاحمة متكاملة عن الإسلام موضوع الدراسة، وكل ما يميز ذلك هو تلك العناوين البارزة التي تتضمن أبشع أساليب التشويه والتمويه والإثارة، كل ذلك يتم تعزيزه بصور مثيرة مدسوسة تحاول أن تظهر الإسلام في وضع متخلف حسب زعم القوم، وهذا ما نجده أيضاً في البرامج المرئية التي لا تكاد تخلو من لقطات عديدة تتضمن صوراً مفتراة عنصرية مهينة للمسلمين الذين يغلب عليهم أن يظهروهم جميعاً في صور وأطر نمطية لا ترتكز على أي أساس، وهي صور سلبية أكثر شيوعاً وذيوعاً من كل ما عداها، وتطابق ما تعتبر قطاعات واسعة من المجتمعات الغربية أنه هو كذلك. وتمتلك تلك القطاعات القوة والعزم على نشر وترويج تلك الصورة المشوهة للإسلام، ويسهم في ذلك المراسلون الصحفيون الذين لا يتوانون في استبدال الواقع الصحيح بشرح مشوه، ينتجه المراسل بنفسه ويضفي عليه كل مظاهر المعقول والمنطقي من أجل أن يستساغ ويتم

تقبله بشكل طبيعي. من جهة أخرى لابد من الإشارة إلى الدور الجديد الذي أضحى يتقمصه كل من المستشرقين الأكاديميين والمستشرقين الصحفيين بصفتهم خبراء في بعض المناطق العربية، حيث تستعين بهم مختلف وسائل الإعلام الغربية بقصد تزويدها بخبراتهم ومعلوماتهم، وبذلك أصبح المتخصصون في شؤون الشرق الأوسط من المستشرقين وغيرهم يمثلون ذراعاً من أذرع تشويه صورة الإسلام في الغرب التي تعمل الآلة الغربية على تكريسها وترسيخها موظفة من أجل ذلك كل الآليات والوسائل والسبل المتاحة.

بالمقابل يلاحظ ظهور بعض مظاهر التغيير إلى الأحسن حيث برزت أصوات بعض الشخصيات الفاعلة والجمعيات الغربية منها جمعيات الصداقة العربية - الغربية التي تنادي بتبني مواقف معتدلة تجاه الإسلام والعمل على الحد من المبالغة في تشويه صورته في الغرب، وذلك بالدعوة إلى إبراز سماحة الإسلام وسمو مبادئه ونبل تعاليمه، وبعده كل البعد عما يلصق به من تهم وافتراءات وطعون، ولاشك أن مثل هذه المواقف الغربية سوف تسهم إلى حد ما في التخفيف من حدة الترويع والتخويف من الإسلام عن طريق تشويه وتحريف صورته الناصعة، بيد أن الدور المطلوب والمنشود منا نحن المسلمين يبقى هو الأهم والأجدى، فإذا كنا قد لحظنا بروز بعض مظاهر التغيير إلى

الأحسن وذلك فيما يتعلق بالصورة المشوهة عن الإسلام كما كوّنها وشوهها الغرب بكل مؤسساته الإعلامية والثقافية، فإن ذلك لن يعفينا نحن معشر المسلمين من البحث عن سبل تصحيح صورة الإسلام في الغرب، والعمل على إيجاد طرق تحسين تلك الصورة التي طالها التشويه والتزييف لعقود عديدة.

واجب تغيير الصورة

لاشك أن من أكبر دواعي استمرار وتمادي الإعلام الغربي في تهجمه وتشويهه لصورة الإسلام هو سكوتنا ولزومنا للصمت حيال مختلف الحملات المغرضة ضد الإسلام، فأمست بذلك الآلة الإعلامية الغربية لا تجد غضاضة في نهج مختلف السبل لعرض الإسلام وتحليله وتصويره بشكل يجعله «معروفاً» حسب طريقتها للقراء والمشاهدين الغربيين، فتكونت من جراء ذلك صوراً مشوهة عن ديننا طالت كل مجالاته وتعاليمه ومبادئه وتكرست في أذهان الغربيين وأمست شيئاً مألوفاً، فأصبحنا نقرأ ونسمع أوصافاً فظيعة وتهماً مكذوبة وأراجيف مختلفة توجه ضد الإسلام والمسلمين.

لا ينكر أحد ما تقوم به بعض الجهات الرسمية والمؤسسات الإعلامية من واجب ممارسة حق الإنكار والاحتجاج من جهة

والعمل على تصحيح صورة الإسلام من جهة أخرى، لكن الواجب يفرض القيام برسم خطة محكمة لرصد كل الحملات والانتهاكات الإعلامية التي تمارس ضد الإسلام والمسلمين بهدف البحث عن أسبابها وخلفياتها ثم مواجهتها والتصدي لها.

إن استمرار وجود صور سلبية عن الإسلام والمسلمين في المجتمع الغربي، واستمرار الترويج لها من قبل وسائل الإعلام لها عواقب وخيمة وتترتب عنها سلبيات كثيرة في العالم بأسره، نظراً لقوة نفوذ وتأثير الإعلام الغربي الرهيب بما يمتلكه من قدرة على الانتشار والجذب والتمويه والإثارة، ولعل الصورة السلبية التي تعتبر من أشد الصور إيلاماً وإيذاء هي تلك التي تزعم أن الإسلام دين تطرف وعنف وإرهاب.

إن من المؤسف أن المسلمين المقيمين بالديار الغربية لم يستطيعوا إلى الآن ـ بالرغم من نجاحهم في مجالات عديدة ـ امتلاك وسائل إعلامية قوية ومؤثرة لإحداث تغيير ـ ولو نسبي ـ في العقل الغربي من حيث نظرته القاصرة نحو الإسلام.

لقد آن الأوان لتجاوز كل العقبات وتذليل كل الصعاب التي تحول دون اقتحام المجالات الكفيلة بتصحيح صورة الإسلام، وبخاصة ما ارتبط بالمجال الإعلامي الذي أمسى المجال الأنسب والأرحب لتحقيق المراد في هذا المجال.

إن تشويه صورة الإسلام يؤثر سلباً على ثقافتنا وحضارتنا،

وقد يصرف الناس والأجيال اللاحقة عن تقدير مكانتها والاستفادة من معطياتها، ولذلك فإنه ينبغي السعي حثيثاً نحو تحسين الصورة وتصحيحها فذلك يعتبر واجباً دينياً وضرورة ثقافية، فضلاً عن كونه مطلباً واقعياً خاصة إذا تم الاقتناع بضرورة تجاوز مستوى تفنيد الافتراءات والرد على الطعون إلى مستوى المزج بين عمليتي الدفاع والبناء أو بالأحرى القيام بالمراوحة بين طريقة الرد والتفنيد وطريقة التأصيل والبناء من أجل صنع صورة للإسلام تناسب العقلية الغربية ويسهل استيعابها والاقتناع بها، من جهة أخرى ينبغي التأكيد على أهمية سلوك منهج التحاور مع عقلاء الغربيين ومنصفيهم بقصد توضيح رسالة الإسلام السلمية ودعوته السمحة وإجلاء معالم النظرة الإسلامية للحضارات الأخرى القائمة على أسس التفاهم والتعاون وتقبل الآخر وأنها بالمقابل لا تقوم على شيء من حب الصراع أو المواجهة مع الغرب، ولا تكن شيئاً من البغض أو الكراهية تجاهه.

إنه بالحوار فقط يمكن تغيير الصورة النمطية والمشوهة التي كوّنها ويكوّنها الغرب عن الإسلام، وبالحوار فقط تتاح فرصة التخفيف من حدة تيار التخويف والترويع من الإسلام الذي يهيمن على كثير من مؤسسات الإعلام والثقافة الغربية.

إن محاولة تغيير وتحسين صورة الإسلام مطلب ملح، له

مسوغات عديدة من أهمها:

* إننا أمة رسالة ولا ينبغي أن نيأس من تبليغها للآخرين، ولابد من تمهيد السبيل لذلك بتصحيح الأخطاء والرد على المغالطات، وذلك بتقديم الصورة الحقيقية من جهة، وتبديد معالم الصورة المشوهة من جهة أخرى.

* إن الصورة المسيئة للإسلام تضر بمصالح الأمة الإسلامية في الغرب ذاته وفي العالم أجمع، فلا مناص إذن من العمل على إبراز الصورة بشكل يخدم تحقيق تلك المصالح.

* إن عملية تشويه صورة الإسلام في الغرب تحد وتقلل من أهمية وثقل الدعوة الإسلامية في ربوعه، فهي تقوّض جهود الدعاة وتنسف آمال نشر كلمة الإسلام في الديار الغربية بالصورة المقبولة ووفق الأهداف المنشودة.

ولعل مما يسهم ويساعد على التخفيف من حدة التشويه لصورة الإسلام في الغرب وجود أصوات منصفة ومؤشرات مشجعة على تصحيح صورة الإسلام، فمن جهة أخرى هناك رغبة أكيدة في معرفة الإسلام ومحاولة فهمه، ومن جهة ثانية هناك بعض كبار المسؤولين الغربيين من ساسة وحكام وغيرهم يعبرون من حين لآخر عن سماحة الإسلام وسمو حضارته، ويمكن أن تكون لهذه الأصوات والمواقف المعتدلة تأثير على الجهات التي تعمل على إيجاد صورة مشوهة عن

الإسلام. وتكفي الإشارة في هذا السياق إلى ما يقوم به مركز (أوكسفورد) للدراسات الإسلامية بلندن من جهد مشكور يتمثل في دعوة كبار الشخصيات الغربية المعتدلة للتحدث عن الإسلام وحضارته، وتظهر قيمة ذلك في مدى التأثير البالغ والصدى الواسع الذي تحدثه تلك المحاضرات المنظمة والتي تتحدث عنها وسائل الإعلام الغربية وتقدم ملخصات عنها، ولعل أشهر محاضرة احتضنها المركز المذكور محاضرة الأمير تشارلز التي ألقاها أواخر عام ١٩٩٣م تحت عنوان: «الإسلام والعالم الغربي» والتي أشاد فيها بأفضال الإسلام على الإنسانية وانتقد تحامل الغرب عليه وسوء النظرة التي يكونها على تاريخه ومعالمه، ومما جاء في كلامه: «لقد تشوه حكمنا على الإسلام لأننا حسبنا التطرف هو الأمر العادي الأساسي.. إن التطرف موجود ويجب معالجته ولكن اعتباره الأمر الأساسي في الحكم على أي مجتمع يؤدي إلى التشويه وافتقار هذا الحكم إلى العدالة. فكثيرون من الناس ينظرون إلى الشريعة الإسلامية بأنها قاسية وبربرية وغير عادلة، إن صحفنا قبل الجميع تعشق الخوض في هذه الأحقاد، بينما الحقيقة هي غير هذا، فهي مختلفة عن هذا التفكير».

هكذا إذن يخلص الأمير تشارلز إلى أن الحكم على الإسلام بأنه مصدر تخويف وتهديد إنما تغذيه الصحف ووسائل الإعلام

معترفاً بأن حقيقة الإسلام مغايرة لذلك تماماً.

بعد محاضرة الأمير البريطانيِ توالت المحاضرات في موضوع سماحة الإسلام وعالمية حضارته، فوزير الدولة السابق في وزارة الخارجية البريطانية جفري هون كان قد ألقى كلمة بالمركز ذاته انتقد فيها التشويه الذي تمارسه وسائل الإعلام في إلصاق الإرهاب وأعمال العنف بالإسلام وعدم التمييز بينه وبين العناصر المتطرفة من المسلمين.

وفي يوم ١٩٩٩/٦/٢٨م ألقى الأمين العام للأم المتحدة كوفي عنان محاضرة بمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية تحت عنوان «حوار الحضارات والحاجة إلى منظومة أخلاقية عالمية» وهي حسب النص الكامل الذي نشرته صحيفة (الشرق الأوسط) في يوم إلقائها تتحدث في مجملها عن دور الحضارة الإسلامية وعدم قابليتها لأي صدام أو صراع مع باقي الحضارات. وأكد عنان على مكانة الإسلام كدين عظيم في العالم كان نبراساً هادياً لأكثر من حضارة عظيمة.

إن مما لاشك فيه أن مثل هذه الأصوات والمبادرات الفريدة التواقة إلى ربط جسور الحوار والتفاهم بين الإسلام والغرب كفيلة بأن تحقق أثراً إيجابياً في تحسين صورة الإسلام بين الغربيين، فالشخصيات الغربية المرموقة أقدر على إقناع مواطنيهم وبني جلدتهم بسمو الحضارة الإسلامية ونزعتها

السلمية والحوارية.

بعد هذا يمكن تقديم بعض الأفكار والمقترحات التي تسهم في عملية التصحيح وفق استراتيجية إسلامية واقعية، وسوف أتعرض هنا لواجهتين: أولاهما إعلامية والثانية ثقافية.

الواجهة الإعلامية

إذا كانت الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام قد تم تكريسها قبل بضعة عقود من الزمن في إطار دوائر ومعاقل الاستشراق الأكاديمي، فإنه في الوقت الراهن يمكن القول بأن ذلك «الامتياز» قد انتقل بشكل قوي ومذهل إلى دائرة أوسع وأرحب هي الدائرة الشعبية التي يقدمها الإعلام الغربي بكل مكوناته من كلمة وصورة وصوت وكاريكاتور، وبذلك أضحت صور التشويه «جماهيرية» بعد أن كانت «نخبوية».

ويمكن اقتراح بعض الأفكار المعالجة على النحو التالي:

أولاً: رصد كل الحملات التشويهية التي تثار ضد الإسلام والمسلمين عبر وسائل الإعلام الغربية، والاحتجاج على كل ذلك في كل مناسبة، إذ الإنكار والاحتجاج يثيران الرأي العام بصفة عامة والإعلامي منه على وجه الخصوص، مما يدفع حتماً الجهات والمنابر الإعلامية الأخرى إلى التحفظ وأخذ الحسبان

لكل ما تقدم عليه أو تفكر فيه من محاولات التشويه المغرضة.

ولقد عرفت السنوات الأخيرة حالات اعتذار كثيرة من جهات رسمية ومستقلة (حكومات، هيئات، شركات اقتصادية...) بعد إعلان الاحتجاج عليها من قبل منظمات وجمعيات إسلامية متمركزة بالديار الغربية) من ذلك أن أحد مسؤولي قناة (NBC) التلفازية الأمريكية صرح يوماً بأنه لم يسبق أن تقدم فرد أو جهة عربية أو إسلامية بالاحتجاج إلى القناة عن وجود تشويه لصورة الإسلام مما جعل الأمر عادياً، وهذا عكس اليهود الذين يحتجون بحدة عندما يتعلق الأمر بديانتهم أو أدنى حديث لا يرضونه).

ثانياً: يجب التفكير في ربط جسور التعاون والتواصل بين وسائل الإعلام العربية والشبكات الإعلامية الغربية وذلك في إطار اتفاقيات تعاون وتفاهم مشتركة يندرج في ضمنها الاتفاق على احترام مقومات ومقدسات كل حضارة، والعمل على تفادي أسباب الاستفزاز والازدراء وإثارة المشاعر الدينية، ولاشك أن هذا الأمر قمن بتحقيق نتائج مرضية خاصة إذا علمنا أن جل وزارات الإعلام والاتصال في الدول الإسلامية لها علاقات واتفاقيات تعاون مع نظيراتها الغربية.

ثالثاً: ينبغي التفكير في سبل تجنيد وتوفير الأطر والكفاءات الفكرية والثقافية العاملة بالديار الغربية، والتي يؤمل أن يكون لها دور فاعل في سبيل تصحيح المفاهيم حول الإسلام وتحسين

صورته عن طريق التحاور والتفاهم، إذ من المعلوم أن القنوات الإعلامية الغربية كثيراً ما تخصص برامج ثقافية حول قضايا تهم الإسلام والمسلمين تكون في غالب الأحيان قد نجمت وترتب إعدادها عن حدوث «أزمات» معينة (أعمال عنف - قضية الحجاب - إشكالية الهجرة والاندماج - قضية المرأة - حقوق الإنسان... إلخ) وتتم استضافة المسلمين لمناقشة بعض تلك القضايا، ويتاح الأمر بشكل أرحب للعاملين بالديار الغربية من أساتذة جامعيين ورؤساء المراكز الإسلامية وصحفيين وغيرهم، كما أن المسلمين ذوي الأصول الأوروبية والأمريكية يعتبرون أفضل الناس تحاوراً وتواصلاً في هذا المجال لأنهم أدرى بطبيعة المحاور الغربي وأقدر على الإقناع والإبانة عن حقائق الأمور عندما يكونون ملمين بمبادىء الإسلام وحقائقه يتحدثون حينئذ بعلم ومعرفة فيكون لهم أكبرالأثر في رد ما يثار من شبهات وما يزعم من ادعاءات باطلة ضد الإسلام والمسلمين.

رابعاً: يجب العمل على أن تكون المراكز الثقافية الإسلامية بالغرب ذات دور فعال في هذا المجال سواء فيما يخص واجب إشاعة حقائق الإسلام الناصعة وضرورة تبيان أصوله ومبادئه الأصلية (من خلال محاضرات وندوات ومنشورات ومعارض ومؤتمرات...) أو على مستوى ربط علاقات صداقة مع

المؤسسات والجمعيات الغربية المعتدلة في نظرتها إلى الإسلام، بهدف إيجاد منابر إعلامية تتيح الفرصة للتعبير عن وجهة النظر الإسلامية في بعض القضايا المثارة والتحاور بشأنها.

خامساً: يمكن ربط جسور التواصل والتعاون مع المشرفين على بعض البرامج الدينية المخصصة للإسلام في القنوات التلفازية الغربية وذلك من أجل العمل على تركيز الجهود وهذه البرامج الدينية عادة ما تكون موجهة إلى الجمهور الغربي غير المسلم وكذا إلى المسلمين الجدد التواقين إلى معرفة أعمق للإسلام ومبادئه وتعاليمه، ويمكن بهذا الصدد العمل على التنسيق مع الجهات المشرفة على تلك البرامج من أجل تركيز الجهود في استغلال تلك المنابر الإعلامية - على محدوديتها - بقصد التعريف بالإسلام وتحسين صورته لغير المسلمين.

(في فرنسا مثلاً، تفتح القناة التلفازية الثانية Fr2 المجال صبيحة كل أحد لبث حصة تعريفية بالإسلام لمدة نصف ساعة يشرف عليها طاقم إعلامي مسلم يرأسه فرنسي مسلم، ويحمل البرنامج اسم «معرفة الإسلام» (Connaitre l'islam) ويتم من خلال البرنامج عرض حقائق الإسلام وتعاليمه بصورة تناسب عقلية الجمهور الفرنسي ويلائم متطلبات العصر في إثارته لمختلف القضايا التي تبدو غامضة للمشاهد الغربي وذلك من خلال محاورة العلماء والمفكرين الذين يزورون باريس، وفي الإعلام

المرئي البلجيكي والهولندي والبريطاني وغيره مما يشبه هذا.

سادساً: ضرورة استغلال البث الفضائي من طرف الدول والمنظمات الإسلامية للعمل على تقديم برامج دينية وتوجيهية متنوعة تعبر عن الصورة الحقيقية للإسلام وتقوم بتعديل وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي ما فتىء الغرب يرددها ويروج لها، وقد أصبحت الفرصة في الآونة الأخيرة مواتية أكثر من أي وقت مضى في ظل وجود قنوات فضائية تبث إرسالها إلى معظم الدول الغربية، ويعتبر البث الفضائي أكثر وسائل الإعلام تأثيراً وفاعلية إذ إنه يقتطع أكبر نصيب من وقت المشاهد الذي يفضل غالباً التزود بالأخبار والمعلومات عن طريق التلفاز فهو أكثر جاذبية وأيسر تناولاً وبالتالي فإن تقديم معطيات الإسلام الصحيحة باللغات الحية عن طريق البث الفضائي سيكون أكثر إيجابية وجدوى نظراً لما سيحققه من انتشار واسع وتأثير عميق.

وإذا كان إنشاء قناة فضائية إسلامية تبث برامجها باللغة العربية قد أضحى اليوم واقعاً ملموساً وتجربة رائدة، فإن التفكير في إنشاء قناة فضائية إسلامية باللغات الحية لا تعتبر فكرة مستحيلة أو مطمحاً بعيداً، خاصة وأن دول العالم الإسلامي قد أضحت تتوفر على إمكانات إعلامية هائلة وطاقات وخبرات مبدعة مؤهلة للإسهام بفعالية في تنشيط وتفعيل هذا المشروع.

إن إنشاء قناة فضائية إسلامية تبث برامجها بمختلف اللغات

يعتبر مكسباً ذا بال يحقق فوائد كثيرة ويرمي إلى أبعاد استراتيجية مهمة تهدف إلى تصحيح صورة الإسلام المشوهة في الغرب، وذلك عن طريق إطلاع الغربيين على الجوانب المضيئة والمشرقة من الحضارة الإسلامية بما تتضمنه من قيم ومبادىء سامية وتعاليم روحية قويمة.

وإذا كان تقديم معطيات الإسلام وتعاليمه قد يبدو غير ممكن عن طريق قنوات الصحافة العربية المكتوبة نظراً لحاجزي اللغة والتوزيع، فإن القيام بذلك عن طريق قنوات البث الفضائي وبلغات الغرب المختلفة يبدو ـ الآن ـ أمراً ميسراً لا يدعو لأكثر من استقطاب علماء مسلمين أكفاء قادرين على أداء هذه الرسالة بشتى اللغات الأجنبية (تجربة وزارة الأوقاف المغربية من خلال برنامج «حقائق عن الإسلام»، وتجارب أخرى في السعودية ومصر والجزائر يدعونا إلى القول بتضافر تلك الجهود لإنشاء قناة إسلامية موجهة للغرب بلغاتهم.

سابعاً: ينبغي استغلال شبكة «الإنترنت» في خدمة الإسلام. وفي مجال مواجهة حملات تشويه صورة الإسلام تبدو الحاجة إلى توظيف هذه الوسيلة ماسة أو ملحة، بل قد تكون من أجدى الوسائل لعرض صورة ناصعة وواضحة عن أسس الإسلام وتعاليمه وقيمه، فبافتتاح بعض المواقع داخل الشبكة يتم من خلالها تقديم معطيات ومعلومات دقيقة عن مختلف القضايا

الإسلامية التي يكثر حولها الجدل والنقاش ويتردد ذكرها في الغرب يمكن من تحقيق مكاسب كبرى من غير الالتجاء إلى أسلوب المواجهة أو الوقوف في موقف الدفاع والرد، بل يتم الاكتفاء بعرض الإسلام بطريقة بنائية تعتمد منهج التعريف والتوضيح بحيث لا يكاد يشعر الغربي أنه المخاطب بذلك، وسيحقق هذا المشروع من دون شك نتائج فاعلة وواسعة النطاق لاسيما وأن «الإنترنت» قد غزت البيوت والمكاتب والمؤسسات.

وإذا كانت المواقع الإسلامية الموجودة حالياً على شبكة الإنترنت (أكثر من ١٠٠٠ موقع حسب إحصاء ١٩٩٩م) تنقسم إلى قسمين: قسم أنشأه باحثون مخلصون ومؤسسات ثقافية تعمل على خدمة الثقافة الإسلامية وقسم آخر قامت بإنشائه جهات مغرضة تسعى لتشويه صورة الإسلام والحط من قيمته ومكانته، فإن المنظمات والجمعيات الإسلامية الدولية مدعوة للتعاون المشترك والمتكامل من أجل تأسيس موقع متميز على شبكة الإنترنت يهيمن على كافة المواقع الموجودة وتكون له الريادة في تغطية كل ما يرتبط بمجال تصحيح صورة الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً وحضارة وتاريخاً بمختلف اللغات الأوسع انتشاراً وعدم الاقتصار على اللغة الإنجليزية كما هو الشأن حالياً (من المعلوم أن ٨٨٪ من معطيات الإنترنت باللغة الإنجليزية و٩٪ باللغة الألمانية و٢٪ باللغة الفرنسية و١٪

موزعة على باقي اللغات).

ويؤمل أن تكون للموقع المقترح الفاعلية التامة في تقديم حقائق الإسلام بأمانة وصدق مع الاتصاف بالشمولية والدقة والجودة والتشويق خاصة وأن الواقع يثبت أن معظم المواقع الإسلامية المعروضة على الشبكة تتسم بالقصور والضعف لعدم توفر الإمكانات الفنية والعلمية المطلوبة مما يؤدي بالتالي إلى قصور تأثيرها المأمول.

والموقع الإسلامي المقترح كفيل بتيسير إمكانات وسبل أخرى للتعريف بالإسلام بمختلف اللغات والعمل على تصحيح وتوضيح صورته على أوسع نطاق، حيث يمكن تخصيص صفحات من الموقع لاستعراض أبرز الكتب المفيدة في مجال التعريف بالإسلام والتحذير من الكتب والمواقع الإلكترونية المغرضة، وكذا عقد ندوات علمية يشارك فيها علماء ومفكرون من مختلف بقاع العالم من مواطن إقامتهم لتفعيل هذا الدور على المستوى المطلوب.

الواجهة الثقافية

من المؤكد أن الإعلام الغربي بجميع مكوناته يستلهم مادته الإعلامية من مرجعية استشراقية محضة، وبالتالي فإن وجهاً

آخر لسياسة تشويه صورة الإسلام في الغرب - عبر هذه الواجهة - هو الذي يغذي الشبكات والمؤسسات الإعلامية الغربية ويزودها بما تحتاج إليه من معلومات وأفكار عن الإسلام بالغة التشويه والقتامة والتزييف لتضفي عليها بدورها نوعاً آخر من التضليل والتشويه.

ويعتبر ما يسمى بالاستشراق الصحفي صلة وصل بين الاستشراق الثقافي الأكاديمي والإعلام ميدانية في بعض البلدان الإسلامية طبقاً لمقاييس ومواصفات ومناهج صاغها المستشرقون في كتاباتهم المغذية للأبحاث والمقالات والاستطلاعات الصحفية.

ويمكن إيجاز أبرز مواطن الخطورة في هذا التيار مع ذكر بعض سبل المعالجة فيمايلي:

أولاً: يجب رصد كل ما يقال عن الإسلام في الصحافة الغربية المكتوبة (صحف، مجلات، دوريات، منشورات إعلانية...) وكذا ما تروجه الكتابات الاستشراقية (الاستشراق الأكاديمي + الاستشراق الصحفي) ثم القيام بالرد عليها باللغات الأجنبية ونشرها بالغرب عن طريق المراكز الثقافية الإسلامية والجمعيات والمنظمات (يجب الاعتراف بصعوبة النشر والتسويق لما هو إسلامي في الغرب).

- يمكن توزيع المواد المراد بحثها والرد عليها على جماعة

من العلماء والمفكرين المهتمين حسب التخصصات، ويمكن الاتفاق على قواعد وضوابط موحدة كفيلة بتحقيق المقصود من عملية تصحيح صورة الإسلام:

* توضيح أحكام الإسلام بحكمة وحسن بيان مع شرح وإبراز القيم والفضائل الإسلامية الأصيلة.

* مراعاة العقلية الغربية ونمط تفكير الفرد الغربي.

* تجنب أسلوب الانفعال والإثارة ونهج أسلوب الإقناع والتبصير.

- يمكن أن تكون الردود باللغة العربية ثم يتم القيام بترجمتها فيما بعد إلى اللغات الأجنبية الأوسع انتشاراً.

ثانياً: ضرورة التفكير في انضاج موسوعة إسلامية تقتصر على عرض الموضوعات الإسلامية التي يكثر الحديث عنها عند الغربيين في كتاباتهم ويتردد ذكرها في الأوساط الإعلامية بشيء من الازدراء والاستخفاف أو يتم توجيه سهام الطعن والافتئات إليها، ويمكن اعتبار هذه الموسوعة بديلاً عن الموسوعة الإسلامية التي يصدرها المستشرقون في طبعتها الثانية EI، (ظهر المجلد العاشر والأخير عام ٢٠٠٠م).

- إذا تعذر القيام بإنجاز الموسوعة المقترحة، فيمكن - على الأقل - التفكير في الرد على الشبهات والطعون الواردة في الموسوعة الاستشراقية (للإشارة فمنظمة الأسيسكو أصدرت حتى الآن ثلاثة

كتب صغيرة للرد على مغالطات الموسوعة في مجالات: (القرآن الكريم، العقيدة، السيرة النبوية) وذلك ضمن سلسلة «تصحيح ما ينشر عن الإسلام والمسلمين من معلومات خاطئة».

ثالثاً: لابد من رصد المعلومات المغلوطة عن الإسلام في المناهج الدراسية بالغرب ومطالبة الجهات الرسمية المسؤولة على حذفها أو تصحيحها، ولاشك أن المناهج الدراسية هي التي تصنع عقول الأطفال والناشئة، وبالتالي فإن بث معلومات مغلوطة عن الإسلام في الكتب الدراسية الغربية قد يسهم في تشكيل رؤية خاطئة عن الإسلام والمسلمين يصعب محوها ومعالجتها فيما بعد.

إن ما نلحظه أن هناك تحيزاً كبيراً وعدم دقة في تناول قضايا الإسلام وتعاليمه في الكتب والمناهج الدراسية الغربية على وجه الخصوص، ولاشك أن هذا الأمر يحتاج إلى تصحيح ومعالجة ابتداء من مناهج المراحل الابتدائية حيث يكون غرس تلك المفاهيم المغلوطة في أذهان البراعم الصغيرة إلى مناهج البحث العلمي في الدراسات العليا، وتطال خطورة ما يُكتب عن الإسلام في الكتب الدراسية في البلدان غير الإسلامية شريحتين من الأطفال:

أ - الأطفال والتلاميذ المسلمون من أبناء الأقليات والجاليات الإسلامية، حيث تصطدم المفاهيم المغلوطة المبثوثة في الكتب الدراسية بالمُسلّمات العقدية والأحكام الشرعية التي يؤمنون بها.

ب ـ التلاميذ والطلبة غير المسلمين الذين تغرس في أذهانهم صور مشوهة عن الإسلام والمسلمين فيترتب عن ذلك تكوين مواقف سلبية تجاه حضارة الإسلام ودعوته.

ومن المعلوم أن الكتاب المدرسي يعتبر عنصراً مهماً في عملية التعليم والتثقيف، فهو المصدر الأساسي الذي يستمد منه التلميذ أو الطالب مواقفه واتجاهاته إزاء الكثير من الجماعات العرقية والدينية المختلفة، وفيما يخص مادة «الإسلام» المعروضة في تلك الكتب والتي تتسم بالسلبية والإيغال في التشويه والتمييع فيمكن معالجتها وتصحيحها عن طريق رصد المغالطات المبثوثة في مناهج التعليم والتدريس الغربية والعمل على تحديد مصادرها وأسبابها وخلفياتها ثم السعي إلى تنبيه الجهات الغربية المسؤولة ونهج أسلوب الإنكار والاحتجاج أحياناً عن طريق سفارات الدول الإسلامية بتلك البلدان الغربية، ويذكر بهذا الصدد ما نقله أحد مسؤولي قناة ن ب سي NBC ـ السابق ذكره ـ من عدم احتجاج المسلمين على ما تبثه القناة التلفازية من مشاهد تسيء إلى الإسلام على عكس اليهود الذين لا يترددون في الاحتجاج وإعلان غضبهم على كل ما يمس دينهم.

ويمكن التنسيق كذلك مع الجمعيات والمنظمات الإسلامية التي تتخذ من تلك الدول مقراً لها من أجل الرصد والمتابعة. كما ينبغي مطالبة وزارات المعارف والتربية والتعليم العالي في

البلدان الإسلامية التي تربطها اتفاقيات تعاون مع نظيراتها الغربية بالعمل من أجل الاتفاق مع هذه الأخيرة على تكريس مفهوم الاحترام المتبادل للمقدسات الدينية والحرص على التأكد من صحة المعلومات والمعطيات المراد تقديمها عن الديانات الأخرى في الكتب والمناهج الدراسية.

رابعاً: إنجاز ترجمات تفسيرية لمعاني القران الكريم تسد الطريق أمام بعض المحاولات الاستشراقية المغرضة التي ينتج عنها تشويه لحقائق القرآن الكريم ومعانيه. ولتحقيق ذلك لابد من التفكير في إعداد استراتيجية محكمة لإنجاز ترجمات تفسيرية لمعاني القرآن الكريم بمختلف اللغات وتجاوز الترجمات الحرفية التي تؤدي إلى انغلاق المعاني وتحجيمها بشكل يرمي إلى الخلط والالتباس والتي أثبتت التجارب الميدانية في مجال الدعوة خارج حدود البلاد العربية أنها لا تؤدي إلى نتائج مجدية وإيجابية.

لذلك ينبغي تطوير مشروع ترجمة معاني القرآن إلى مستوى يكفل تحقيق المنشود والمأمول من خطة تصحيح حقائق القرآن الكريم ومعطياته وتعاليمه للغربيين. وإذا علمنا أن أول ما يتبادر إلى أذهان غير المسلمين الاستئناس به في محاولة التعرف على الإسلام ومعطياته وأصوله هو القرآن الكريم تبين لنا مقدار الجهد الذي يجب تحقيقه في هذا المضمار.

ولا يخفى الجهد الكبير الذي تبذله المملكة العربية السعودية عبر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة من إعداد جيد ودقيق لترجمات معاني القرآن بمختلف اللغات يتم طبعها وتوزيعها على نطاق واسع في كل أرجاء العالم، ولعل أبرز ما يمكن الإشادة به في هذا السياق هو إصدار المجمع لتفسير قرآني موجز وشامل يحمل عنوان «التفسير الميسر» وقد أخذ المجمع على عاتقه القيام بترجمته إلى مختلف اللغات الأجنبية وقد أسهم كاتب هذه السطور بمراجعة وتصحيح بعض الأجزاء من إحدى الترجمات باقتراح من الأمين العام للمجمع الأستاذ الدكتور محمد بن سالم بن شديد العوفي.

وفي إطار العمل على تعميم وتوزيع مختلف الترجمات لكثير من اللغات على الجامعات ومراكز البحث بالدول غير الإسلامية بهدف فرض ونشر صورة صحيحة وسليمة للمعاني القرآنية المترجمة، كما يمكن اقتراح تخزين وحفظ كل ترجمة على حدة في أقراص مضغوطة (CD-ROM) وتعميم نشرها على أوسع نطاق وهي طريقة عملية وأقل كلفة بدون شك.

خامساً: ينبغي العمل على استمرار الحوار مع الغربيين من أجل تبديد الصورة المشوهة عن الإسلام وتصحيح المفاهيم الخاطئة، ويمكن أن يطال الحوار جهات متعددة نحصر أبرزها فيمايلي:

أ) الحوار مع (رجال الدين) الغربيين، وهؤلاء أقدر الناس

على تفهم الأمور، ولذلك فهم ينأون بأنفسهم عن الخوض في عملية تشويه صورة الإسلام، ويمكن الاستفادة من الحوار مع هؤلاء في مجال تعزيز موقع الحوار مع الجهات الأخرى.

- في باريس - على سبيل المثال - تأسست منذ مدة «السكرتارية من أجل العلاقات مع الإسلام» Secretaroat pour les relations avec 1'Islam وهي تهدف إلى إرساء قواعد الحوار والتفاهم مع المسلمين.

ب) الحوار مع المستشرقين والمثقفين الغربيين بصفة عامة، وهذه مهمة يمكن تحقيقها عن طريق ربط جسور التعاون بين الجامعات الإسلامية والجامعات الغربية من خلال اتفاقيات تعاون ثقافي يتم عن طريقها تبادل الزيارات بين الأساتذة المهتمين، وعقد الندوات والمحاضرات (جامعة القرويين مثلاً وقعت منذ بضع سنين اتفاقية تعاون مع الجامعة الكاثوليكية بباريس لتبادل الزيارات بين أساتذة الجامعتين).

جـ) ضرورة بحث سبل ربط الحوار مع القائمين على المؤسسات الإعلامية الغربية، وهذا المحور يكتنف تحقيقه صعوبات جمة، مما يشكل عائقاً كبيراً أمام تحقيق صنع صورة صحيحة عن الإسلام، خاصة إذا علمنا أن الإعلام الغربي هو المنشط الرئيسي لعملية تشويه صورة الإسلام لأنه يحقق من وراء ذلك نوعاً من الجذب والإثارة.

لكن يمكن التفكير بهذا الصدد في ربط قنوات الحوار مع صنف من الصحفيين يعتبرون أقرب إلى العمل الاستشراقي، والذين يشكلون ما يعرف بظاهرة «الاستشراق الصحفي» وهم الذين يقفون وراء التحقيقات والاستطلاعات المثيرة حول الإسلام والمسلمين التي ينشرها ويبثها الإعلام الغربي بجميع مكوناته.

سادساً: ضرورة الإسهام في عملية الكتابة في المجلات والدوريات العلمية المتخصصة في الدراسات الإسلامية وشؤون الشرق الأوسط بالغرب، وربط الصلات بالمؤسسات والجمعيات العلمية التي تصدرها بقصد التعاون على ضبط وتوجيه ما يكتب حول الإسلام.

سابعاً: يجب فضح وكشف المفاهيم والنظريات الخاطئة التي تروج لحتمية الصراع بين الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات مثل (نظرية برنارد لويس عن «عودة الإسلام» ونظرية صمويل هنتنجتون عن «صدام الحضارات» ونظرية فوكي ياما» عن نهاية التاريخ).

ولاشك أن مثل تلك النظريات السلبية التي يراد ترويجها بشكل واسع وبقدر كبير تؤدي إلى إذكاء مشاعر الحقد والكراهية لدى الغربيين، والعمل ـ بالتالي ـ على ترسيخ صورة مشوهة عن الإسلام في أذهانهم.

ثامناً: تكثيف المشاركة الإسلامية في الندوات والمؤتمرات

الغربية التي يكون موضوعها حول الإسلام وذلك من أجل إبراز الصوت الإسلامي الأصيل وتصحيح الأفكار وتقويم الآراء والمعلومات حول قضايا الإسلام والمسلمين المثارة . ولاشك أن وسائل الاتصال الجماهيري (وسائل الإعلام) التي سبق التأكيد على أهميتها لا تغني عن الاتصال المباشر في الإقناع والتأثير لأن هذه الوسائل الإعلامية وإن كانت تتميز بالسرعة الفائقة في نقل الخبر أو المعلومة وفي نشرها على نطاق واسع، فإن مرحلة الإقناع تتطلب المواجهة المباشرة مع الجمهور كي تؤدي دوراً فاعلاً في عرض الحجج المنطقية والبراهين المقنعة في سبيل تصحيح وتحسين صورة الإسلام.

تاسعاً: من أجل تحقيق هذه الأغراض لابد من التفكير في سبل إعداد أكبر عدد من العلماء والأساتذة الجامعيين والمفكرين المؤهلين للقيام بمهمة التعريف بالإسلام وتصحيح صورته، ويترتب عن ذلك ضرورة توفير الأبحاث والدراسات الكفيلة بالتعريف بالإسلام وحقائقه بلغات أجنبية (لابد من الاعتراف بهذا الصدد بأن نسبة الأبحاث العلمية حول الإسلام التي وضعها باحثون مسلمون باللغات الأجنبية هي أقل بكثير مما وضعه المستشرقون). مما يلزم بذل المزيد من الجهود العلمية في هذا المجال عبر المؤسسات والمراكز والجمعيات الإسلامية بتنسيق يكفل جودة العمل وفاعليته.

في الأعداد القادمة من:

المجلة العربية

* مقاييس الجمال عند المكفوفين

عبدالله الفيفي

* تعليم اللغة الإنجليزية في المملكة

جاسم أحمد الجاسم

* الطب النبوي

حسين محي سباهي

* الحوادث المرورية .. العاهة والمرض

لجنة أصدقاء المرضى

* اضطراب المفردات .. كلام في التخاطب

أحمد عبدالرحمن العرفج

* من حلل الشعراء وحيلهم الفنية

حجاب يحيى الحازمي

* الإعجاز الطبي في القرآن والسنة

حسان شمسي باشا

* هل ينقرض الدبلوماسيون في حقبة العولمة

د. غازي القصيبي

* من وسائل وأساليب التربية النبوية

صالح أبوعراد الشهري

* شبهات وأباطيل لخصوم الإسلام

رفعت محمد طاحون

* العبقرية وأسسها الأربعة

فهد عامر الأحمدي